مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 05 العدد 01 يناير 2022 ص ص: 270-291
ر ت م د (ISSN): 2602-618X / ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

المرتزقة بجيش المنصور بن أبي عامر

وأثرهم على نهاية الخلافة الأموية بالأندلس 422هـ/1031م

Title in English (: The impact of the mercenaries at El Mansour Ben Abi Amer's army on the end of the Umayad reign in Andalusia

ط.د. حفصاوي الزهرة♦

مخبر الدراسات التاريخية والأثرية لشمال إفريقيا جامعة ابن خلدون - تيارت
Azharhafsaoui@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 31/ 05/ 2021 تاريخ القبول: 2021/10/06 تاريخ النشر: 2022/01/31

الملخص: نحاول في بحثنا هذا تسليط الضوء على جانب من تاريخ الأندلس في النصف الثاني من القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس الهجريين، حيث ركزنا من خلاله على وسيلة من الوسائل التي اتخذها المنصور بن أبي عامر لتحقيق غاياته وهي الوصول إلى هرم السلطة فهمش بني أمية ونكّب المناوئين له من رجال السياسة والجيش وإقصاء رجال البيوتات الأندلسية وحجر على الخليفة وأمه، واعتمد المنصور على الجيش كركيزة أساسية لبلوغ أهدافه فآلة الجيش من أسس قوة الملك، وقد استطاع المنصور إحكام زمام الجيش عبر الإصلاحات التي أقامها بإدخال عدد كبير من المرتزقة فيه والتي تدين له بالولاء المطلق، مما أهله ليكون سيد الأندلس الأول وصاحب السلطان، ولكنّ هذا التغيير المحدث في جيش المنصور أثّر على وحدة الأندلس، حيث تشكلت تحزبات ضده وضد جيشه بشكل تلقائي وانتظرت هذه التحزبات الفرصة المواتية للتخلص من هؤلاء الدخلاء، وتجلى ذلك فيما يسمى بالفتنة القرطبية التي أنهت الخلافة الأموية بالأندلس، وآلت وحدة الأندلس إلى شتات واستقلت كل طائفة بمنطقة من مناطقها، وظهرت ممالك طائفية متناحرة، من ضمن ملوك هذه الطوائف قادة كانوا بجيش المنصور المرتزق.

الكلمات المفتاحية: المنصور بن أبي عامر؛ الجيش العامري؛ المرتزقة؛الأندلس ؛الخلافة الأموية ؛سقوط الخلافة.

♦ المؤلف المرسل

Abstract: This study aims to shed light on an aspect of the Andalusian history in the fourth century's second half AH and the fifth century's first half AH. It focuses on one of the means that Al-Mansour bin Abi Amer used to achieve his goals: reaching the hierarchy of power by demolishing the Umayyads' status, subjugating his opponent, politicians and armymen, excluding Andalusian castles men, and isolating the caliph and his mother. Al-Mansour relied on the army as a basic pillar to achieve his goals, as it is one of the king's power' strong foundations. Al-Mansour was able to tighten the reins of the army through bringing a large number of loyal mercenaries which enabled him to be the first master of Andalusia and the Sultan's companion.

This change in the army of Al-Mansour's results, which affected the unity of Andalusia, will be addressed. Political parties formed against him and his army automatically and they waited for the favorable opportunity to get rid of his intruders. This was reflected by the Qurtubian strife that ended the Umayyad Caliphate in Andalusia. Andalusia's unity was dispersed and rival sectarian kingdoms emerged, as some of their kings were leaders in Al-Mansour's mercenary army.

Keywords : Al-Mansour bin Abi Amer; ameri army; mercenaries; Andalusia; Umayyad Caliphate;fall of Caliphate.

مقدمة : استطاع الأمير الأموي عبد الرحمن الناصر أن يعيد الأمن والاستقرار للأندلس بعد توليه مقاليد الحكم سنة300هـ/912م، حيث قضى على الثورات التي هزت أركان الدولة فاكتسبت الأندلس مكانة وقوة، وأعلن الخلافة سنة 316هـ/928م[1]، وازدادت

1 - عبد الرحمن الناصر: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، عاش يتيما وكفله جده عبد الله وولاه جده إمارة الأندلس وهي تعج بالفتن(300-350هـ/912-961م)، أعلن الخلافة سنة 316هـ928م ، متخذا لقب الخليفة وذلك في إطار الدعاية المضادة بعد إعلان العبيدين الخلافة بشمال إفريقيا؛ينظر: سامية مصطفى مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (300-399هـ/912-1008م)، ط1، مصر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية، 2000م، ص، ص: 26، 27.

ازدهارا في ظل خليفته الحكم المستنصر[2] (350هـ-366هـ)، ولكن بوفاة هذا الأخير تراجعت قوة الخليفة وذلك بسبب استغلال رجال الدولة حداثة سن الخليفة الجديد هشام المؤيد[3]الذي تولى الخلافة بعد وفاة والده وكان حكمه بشكل صوري، وصار كل شخص منهم يجدّ ليكون المسيطر على الأندلس، ويعدّ محمد بن أبي عامر[4] المرشح الأقوى من بين هؤلاء لحدة ذكائه وحسن تدبيره، فقد انتهج أساليب شتى للاستئثار بسدة الحكم، مستغلا وصايته على الخليفة الغِر هشام المؤيد، فعمل على إقصاء خصومه[5] تباعا ليكون كل أمر في الأندلس طوع بنانه، وقد نجحت أساليبه هذه في إنشاء قاعدة

---

2 -بويع الحكم بن عبد الرحمن النّاصر بعد وفاة والده الذي اختاره وليا لعهده وهو ابن ثماني سنوات ويعد أكبر ولده وقد اعتلى سرير الملك سنة350هـ /961م، توفي إثر فالج ألم به سنة366هـ / 983م.ينظر: لسان الدين بن الخطيب السّلماني، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، ج2.بيروت: دار المكشوف، (د.ط)، 1956م، ص: 41؛ أحمد بن محمد المقّري التّلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب، تح: إحسان عباس، مج1، بيروت: دار صادر، (د.ط)، 1988م، ص-ص: 382-396 ؛عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب.القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ط2، 1999م ، ص: 183 .

3-ولي هشام بن الحكم بعد وفاة والده ولم يستكمل إحدى عشر سنة، ويذكر المقّري أنه كان يبلغ تسع سنين فقط، ينظر: أبو محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس.ج2.بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (ط2)، 1987م ، ص: 79؛ أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ق4، مج1.بيروت: دار الثقافة، (ط1) 1979م ص: 57؛ المقري، المصدر السابق، ج1: ص: 396)

4-محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري ينتهي نسبه لقبيلة يمنية قحطانية ، تدرج في المناصب على عهد الحكم المستنصر، تولى الحجابة على عهد هشام المؤيد ، غزى أكثر من خمسين غزوة لم تهزم له راية ، توفي في مدينة سالم ودفن بها سنة (392هـ/) وهو ابن 65سنة وعشرة أشهر .ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ج1، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1985م، ص: 268 ؛ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج.س.كولان، إ.ليفي بروفنسال.ج2 بيروت: دار الثقافة، ص: 301؛صلاح الدين بن أيبك الصفدي.الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، ط1، ج3.بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2000م، ص: 253.)

5-عمل المنصور على إبعاد كل من زاحمه وعانده من رؤساء الدولة وقتل بعضا ببعض فبدأ بالصقالبة النافذين في شؤون الدولة بمساعدة المصحفي ثم أزاح الحاجب المصحفي بعد استعان عليه بغالب الناصري ، وبعد ذلك استعان بابن حمدون للقضاء على غالب أيضا، لم يترك وسيلة إلا وقد استعملها لبلوغ غايته، ينظر: المقّري، المصدر السابق، مج1 ، ص، ص: 397، 398.

لسلطانه تحت رسم الدولة الأموية امتدت طيلة أيامه وأيام ولديه عبد الملك وعبد الرحمن .

وقد سلك محمد بن أبي عامر طرقا مشروعة وأخرى غير مشروعة بغية تحقيق طموحه، فقام بتغييرات جذرية في القطاعات الحساسة في الدولة، ولعل أهم التغييرات المستحدثة في الجانب كانت في الجانب العسكري، لما لهذا القطاع من أهمية بالغة في بث النظام والأمن للدولة داخليا وخارجيا، ووسيلة لوصول المنصور إلى مبتغاه، فكون جيشا من المرتزقة ودون لهم الدواوين، وبناء على هذه التغييرات التي أحدثها المنصور في الجيش ارتأينا البحث عن مدى تأثير هذه التغييرات على الوقائع التي شهدتها الأندلس فيما يسمى بالفتنة القرطبية وكانت النتيجة انحلال عقد الخلافة وانتثاره، وعلى هذا الأساس سنحاول من خلال هذا العمل الكشف عن التغييرات التي أحدثها المنصور في الجيش، وتقصي الأسباب الكامنة خلف هذه الاصلاحات، وذكر موقف أهل الأندلس منها، ومدى تأثير ذلك على نهاية الخلافة الأموية بالأندلس، وقد اعتمدنا في بحثنا هذا المنهج التاريخي الوصفي مع بعض التحليل لمختلف الوقائع.

1. أسباب قيام المنصور بن أبي عامر بتغيير التنظيمات العسكرية :

قام المنصور بسلسلة من الاجراءات بغية خلق طبقة سياسية واجتماعية حوله، باستحداث طبقة من القادة العسكريين والموظفين الإداريين تدين بالولاء لشخصه، فأدخل تنظيمات جديدة وتغييرات جذرية مست كافة أجهزة الدولة، خاصة الحساسة منها، وبما أن الجيش عصب كل سلطان حقيقي، فإن المنصور سارع في وضع يده على آلة الجيش، فقام بإدخال عناصر جديدة فيه وأعاد تنظيمه، وفقا لما تقتضيه مصالحه، فكون بذلك جيشا مطواعا يخضع لشخصه، ومن خلال هذا التغيير قضى على القيادات العسكرية السابقة الموالية لبني أمية وأقصاها عن الميدان العسكري [6]، وضم الجيش الجديد عددا كبيرا من المرتزقة وهم أصحاب جرايات ورواتب مقدرة ، والجنود المرتزقة هم

6 -فوزي عناد القبوري العتيبي، فقهاء الأندلس والمشروع العامري367-399هـ/978-1009م، ط1، المملكة العربية السعودية: دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، 2010م، ص، ص: 55، 56؛آمنة محمود عودة الذيابات ، الحجابة والوزارة في عصر الدولة الأموية 316-422هـ/928-1030م(أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير).الأردن: جامعة مؤتة، 2000م، ص: 106.

الذين يحاربون في أي جيش من أجل المال والمكافأة المادية، وكان معظم جند الجيوش في القديم من المرتزقة والغالب أن يكونوا من الغرباء[7].

وحتى يخلو الجو لجيش المنصور الجديد أبعد قدماء قادة الجند الخلافي وأول من بدأ بهم الجند الصقالبة[8] المقيمين في عاصمة الخلافة وقد كان على رأسهم الفتى فائق النّظامي المسؤول عن البرد والطراز ويليه الفتى جوذر صاحب الصاغة والبياذرة وكانوا يلقبون بالأكابر كما أنهم على دراية بشؤون القصر الخلافي لا يخفى عليهم أمر فيه[9]، فاستعان بجعفر المصحفي الذي كان بينه وبينهم عداوة استغلها ابن أبي عامر ووجهها لصالحه، فشُدّدت عليهم الرّقابة وأغلق باب الحديد الذي كان مخصصا لدخولهم القصر، كما قام جعفر المصحفي بفصل الغلمان عن فائق وجوذر الذي كان يقدر عددهم بثمانمائة وجعلهم أتباعا للمنصور، ثم أحاده من طريقه بالسعاية ضده لدى الخليفة هشام المؤيد، كما سعى لكسب تأييد غالب الناصري فصاهره وبالغ في إكرامه حتى أكتسب محبته وضمن جانبه، فنكب المصحفي بعد أن زج به في السجن سنوات عديدة رغم كثرة توسلاته إلى أن توفي بالمطبق بمدينة الزهراء وقيل قتل خنقا سنة 372هـ/982م[10]، كما أن المنصور قد استقطب بني برزال[11] الذين كانوا تحت قيادة المصحفي بالأمس القريب[12].

---

7 ــ المعجم الوسيط ، إشراف: (شوقي ضيف)، ط4، مصر : مكتبة الشروق الدولية ، 2004م، ص: 342.

8 -لفظ كان يطلق في الأندلس على الرقيق المجلوبين من أوروبا و المناطق الشمالية لإسبانيا في القرن الرابع هجري /العاشر ميلادي ، و سمي أولئك بالسّلاف Slavesأي العبيد ثم حور اللفظ في العربية إلى صقالبة وتوسع استعماله فأصبح يطلق على كل الرقيق الأبيض المجلوب من أوروبا، كان أغلبهم يؤتى بهم أطفالا يربون تربية عسكرية ويدربون على الخدمة في القصور أو الانخراط في الجيش، والمستخدمون في القصور يتم خصاؤهم لخدمة الحريم ويباع المخصيون منهم بأثمان مرتفعة.ينظر: حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي 138-422هـ/755-1030م.القاهرة: مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، 1994م، ص، ص: 52، 53).

9 -هشام عبد الرؤوف محمد مصطفى أبو ملّوح، الدولة العامرية في الأندلس366-399هـ/977-1009م).(أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه)، الجامعة الأردنية، 1994م، ص: 48.

10 -ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص: 259؛ عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق، ص، ص: 212، 224.

11 - ينتمي بنو بُرزال إلى قبيلة زناتة البربرية كانوا ينزلون بالمغرب في منطقة الزاب الأسفل حول مدينة المسيلة، وهم من الخوارج الإباضية ، وبعد مقتل زيري بن مناد الصنهاجي ، ضيق عليهم خلفيته بلكين بن زيري الخناق انتقاما لمقتل والده، و قد طلبوا وساطة من جعفر بن علي بن حمدون لدى

و بعد أن خطى المنصور هذه الخطوة الجريئة قرر أن يكون الجيش خاضعا لسلطانه ليتمكن من مواجهة أعداء الداخل وأعداء الخارج، ويعد غالب بن عبد الرحمن الناصري قائد جيوش الثغر الأعلى أقوى أعدائه داخل الدولة، وبما أن غالبا يتفوق على المنصور في مجال الفروسية لشدة مراسه ومقارعته للفرسان في ساحات الوغى، فرأى المنصور أن يجلب ندّا يقارع صهره ، ووجد ابن عامر في جعفر بن علي بن حمدون[13] ضالته ، فجدّ بالإرسال في طلبه ليشد به أزره[14]، مستغلا ظرفية هجوم بلكين بن زيري الصّنهاجي[15] في حملته المشهورة على المغرب الأقصى والتي اكتسح فيها زناتة، فلبى جعفر النداء[16] .

أما أعداء الخارج فهم يتمثلون في النصارى شمال الأندلس والدولة العبيدية الشيعية التي استولت على جزء كبير من بلاد المغرب وجعلت نفوذ الأمويين

الحكم المستنصر ، الذي وصف له شجاعتهم وانقيادهم مرغبا إياه في قبول جوازهم فحقق جعفر رغبتهم ، واستدعاهم الخليفة وأحسن استقبالهم رغم نحلتهم ، وعلى هذا النحو انتظم بنو برزال في خدمة الدولة الأموية، مكونين جيشا خاضعا لتقاليدهم .ينظر: أبو مروان ابن حيان القرطبي(ت469هـ)، تح: عبد الرحمن علي حجي، د.ط، بيروت، دار الثقافة، 1965م، ص: 192؛حمدي عبد المنعم محمد حسين، دراسات في التاريخ الأندلسي (دولة بني برزال في قرمونة)404-459هـ/1013-1067م، د.ط، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1990م ص، ص: 03، 10؛ فوزي عناد القبوري العتيبي، المرجع السابق ، ص: 40.

12- ابن عذارى ، المصدر السابق، ج2، ص: 260.

13 -تولى جعفر بن علي بن حمدون المسيلة بعد مصرع والده الذي كان يدين بالولاء للعبيديين ، وبعد أن ظفر الزناتيون في حربهم ضد الزعيم الصنهاجي زيري بن مناد، شق عصا الطاعة عن المعز وراسل المستنصر الأموي فقبله قبولا حسنا وأحسن مثواه رفقة أمراء زناتة سنة 360هـ، قتل جعفر بن علي بن حمدون بعد أن تخلص المنصور من غالب الناصري بفضل مساعدة ابن حمدون، وفي ليلة سمر أن أثقل فيها الأخير في شرب الراح ، أرسل من ترصده في طريق عودته لمنزله وتمت تصفيته.ينظر: ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص، ص: 242، 244 ؛عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص: 224.

14 -عبد العزيز فيلالي المرجع السابق، ص: 224.

15 -تولى رئاسة صنهاجة بعد مقتل أبيه وهو أول ملوك بني زيري حيث سلمه المعز لدين الله الفاطمي افريقية وجميع أعمالها سنة 361هـ، توفي سنة 673هـ بعلة القولونج.ينظر: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت733هـ/1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج24، "الجزء الخاص بإفريقية وبلاد المغرب "، تح: عبد المجيد ترحيني .بيروت، دار الكتب العلمية، ص، ص: 91، 97.)

16-ابن عذارى ، المصدر السابق، ج2، ص: 279؛مفاخر البربر، مؤلف مجهول(ت712هـ)، تحقيق وتعليق: محمد زينهم، ط1، القاهرة: جهاد للنشر والتوزيع، 1998م، ص: 28؛محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر1، القسم2، ط4، القاهرة : مكتبة الخانجي، 1997م ، ص: 538

علـى المحـك، وارتـأى المنصـور أن الجـيش القـديم قـد أصـابه الـوهن وفقـد روحـه الحربيـة بسـبب مـا نـالهم مـن رغـد العـيش ورفههـا، وهـذا مـن العوامـل التـي دعمـت فكـر ابـن أبـي عـامر الرامـي إلـى تجديـد عناصـر الجـيش، وبـث روح النشـاط والشـباب فيـه ، وجـدّ فـي طلـب مـن يرنـو إلـى جهـاد النصـارى ، ليـتمكن مـن غـزو بـلاد العـدو وتدويخها متى شاء [17].

بعد فتح المنصور لهذا الباب أقبلت عليه جحافل البربر تباعا من زناتة و صنهاجة ومن أراد جهاد النّصارى فقدم رجال البربر وأخر زعماء العرب وأقصاهم من مناصبهم وفرق جند القبيلة الواحدة صفوفا مختلفة[18].

كما أنّ تخوف المنصور من ظهور منافس له في الجيش، من الهواجس التي جعلته يُقدِم نفسه على أنه القائد الأعلى للجيش وتجلّى ذلك من خلال غزوه للروم صائفا وشاتيا، ورغم كثرتها انتصر في غزواته كلها[19]، فقد كان المنصور يخشى ثورة الجند وتحزبهم ضده أو الاتفاق على بعض ما يخل بدولته إذا كانوا صنفا واحدا، مما قد يؤلبهم عليه، لذا قرر أن ينـوع فـي أعـراق الجـيش، فـإن ثـارت طائفـة ضـربها بطائفـة أخـرى، فاسـتمال مـن كـانوا يدينون بالولاء لبني أمية لصالحه كبني ذي النون وبني الزجال، فأقصى نفوذ العرب في الجيش، وهدم النّظام الذي كان سائدا قبل ذلك أو ما يسمى بالجيش الخلافي، فإدخاله لعناصر مختلفة كان الهدف منها منع عناصر الجيش القديم وقدامى المحاربين من الاتحاد ضده خوفا من عزله أو القضاء عليه[20]، وهذا الأمر قد جعله يعمل بجد في مطاردة كل من يخشى بأسه من بني أمية أو غيرهم من زعماء القبائل، فسحق كل من يصلح للولاية أو

17 -الأمير عبد الله بن بلكين، التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، تحر: علي عمر، ط1، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية، 2006م، ص: 31

18 -محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 531.

19- أبو نصر الفتح بن محمد بن خاقان ابن عبد الله القيسي الإشبيلي (ت 569هـ)، ، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلَح أهل الأندلس ، تح: محمود علي شوابكة.بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983م، ص: 388؛آمنة محمود عودة الذيابات ، الحجابة والوزارة في عصر الدولة الأموية 316-422هـ/928-1030م (أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير).الأردن: جامعة مؤتة، 2000م، ص: 106.

20 -محمد حقي، البربر في الأندلس- دراسة لتاريخ مجموعة إثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية (92-422هـ/711-1031م)، ط1، الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس، 2001م ، ص، ص: 188 ، 191.

الرياسة [21]احترازا من ظهور منافس شرعي له، ولكن هذا الأمر ستكون له نتائج وخيمة على الأندلس سنشير إليها لاحقا في صفحات هذا العمل.

ومما زاد محمد بن أبي عامر رغبة في تقوية الجيش، حرصه على كسب تأييد عامة الأندلس، وهو المدرك أن ذلك لا يتحقق إلا إذا استتب الأمن وساد فيهم بالعدل، ولا يكون ذلك إلا بآلة الجيش، فعمل جاهدا أن يكون طوع بنانه، كما أنّ كثرة غزواته وجهاده النصارى قد أكسبته حب العامة [22]، ولم يكن الجهاد فقط سببا لكسب ودهم، بل لكثرة مغانمه وبسط يده وكل ذلك لاستمالة قلوب أهل الأندلس وضمان ولائهم له.

2. التشكيلة العسكرية لجيش المنصور:

تحتاج سياسة المنصور الجريئة هذه، أياد قوية وشجاعة وإقدام وإخلاص منقطع النّظير، ولا يكون ذلك إلا ببذل المال، فبالمال تُشترى الهمم، وفي أرض المغرب الاسلامي واسبانيا النصرانية وجد ابن أبي عامر حاجته، فكون جيشا من المرتزقة، وقد أشار ابن بسام أن عدد المرتزقة في جيش المنصور كان يشمل عشرين ألف مرتزق[23]، أما ابن الخطيب فقد ذكر أن عدد الأجناد العامريين من الفرسان خاصة من سائر الطبقات والأحرار يفوق الاثني عشر ألف فارس وجميعهم مرتزقة في الديوان، يقام لهم بالحُملان والحلية والسلاح والمنازل والنفقة والعلوفة على مراتب مختلفة[24]، ويذكر ابن عذارى أن عدد الفرسان المرتزقين بالحضرة ونواحيها عشرة آلاف وخمسمائة، وأجناد الثغور تماثل هذا العدد تقريبا[25].

ولم يكن الارتزاق وليد عهد الحاجب المنصور، بل يعود لعهد عبد الرحمن الداخل الذي استوحش من العرب قاطبة لما وجد فيهم من حقد ومنافستهم له في ملكه، فاضطر الى اتخاذ مماليك من الموالي للحد من سلطة ونفوذ الأشراف العرب في إدارة الدولة[26]، وكذا الأمير الحكم بن هشام أول من استكثر من المرتزقة واتخذ منهم حرسا خاصا له

21 -محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 531.

22 -منيرة بنت عبد الرحمن الشرقي، المنصور بن أبي عامر بين الهدم والبناء (366-392هـ/976-1002م)، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ع: 40، رجب 1437هـ ، ص: 227.

23 -أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ق4، مج1. ص: 74.

24 - ابن الخطيب، المصدر السابق ، ج2، ص: 99.

25 -ابن عذارى أالمصدر السابق، ج2، ص: 301.

26 -المقّري، المصدر السابق، ج1، ص: 333.

وسماهم الخرس لعجمتهم ، وعبد الرحمن الناصر الذي احتفظ بالمرتزقة الذين كانوا في جيش جده وازدادت أعدادهم في عهده، حيث بلغ تعدادهم بقرطبة وحدها نحو ثلاثة عشر ألفا وسبعمائة وخمسين[27]، كما أن الحكم المستنصر قد شجع فرسانا من بني برزال وغيرهم بالقدوم إلى الأندلس والانضواء في خدمة جيوشه، مقدما لهم وافر الأرزاق، قُدر عددهم بنحو سبعمائة فارس، وكان يشاهد استعراضاتهم بساحة قصره معجبا بهم وبانقياد الخيل لهم، حتى أنه قال بحقهم : "وكأنهم من قصدهم الشاعر أبو الطيب المتنبي بقوله:

وكأنّما ولدت قياما تحتهم وكأنّما ولدوا تحت صهواتها[28]

وقد كان الجيش قبل عهد المنصور يتكون من نظامين، الأول نظام عسكري دائم يقيم في العاصمة يتقاضى أفراده رواتب ثابتة وتمثله فرقة الحرس النظامية المعروفة باسم الصقالبة ويطلق عليه جيش الحضرة، والثاني نظام إقطاعي عسكري تمثله القبائل العربية والمغربية والتي تتوزع على أنحاء المدن الأندلسية بعد الفتح العربي ، ولها حق استغلالها وجباية عطائها من أموالها مقابل المساهمة في الحروب حال اندلاعها[29].

أما المنصور فقد شكّل جيشه من فرق متعددة وضمّ عناصر مختلفة كالعرب والبربر والصقالبة وحتى نصارى الممالك الأسبانية، وقد جعل المنصور جيشه هذا جيشا نظاميا لكل جندي منه مرتب شهري حسب رتبته، وقد أدت سياسته ا هذه إلى القضاء على النظام الإقطاعي العسكري الذي كان سائدا [30].

وقد كوّن المنصور جيشا منظما لا تُرى بين صفوفه نعرة العصبية ولا تخاذل الحزبية[31]، فقد أدخل فيه فرقا من الجند المرتزقة من كل جنس كما أشرنا آنفا ، وسنعرض فيما يلي الفرق التي تكون منها جيش المنصور.

1.2- البربر:

27-حسن يوسف دويدار، المرجع السابق، ص: 55.

28 -أبو مروان حيان بن خلف بن حيان الأندلسي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، شرح: صلاح الدين الهواري، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 2006م، ص، ص: 150، 151.

29 -وديع أبو زيدون، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة.، ط1، الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع، 2005م، ص: 282.

30 -أحمد مختار العبادي ، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ط1.الاسكندرية، منشأة المعارف، 2000م.ص: 55.

31 -عبد السلام أحمد الرّفاعي، الحاجب المنصور.ط1، مصر: المطبعة الرحمانية، 1936م ، ص: 71.

حذى المنصور حذو الحكم المستنصر في استخدام البربر كجند مرتزقة في جيشه، كما أنه استغل الراهن المعاش للبربر في خضم الصراع المرير بين صنهاجة وزناتة ، فجدّ في طلب أنجادها من ذوي البأس، فرأى أقطاب هذه القبائل ألا مناص عن تلبية طلب ابن أبي عامر، وفعلا تمت تلبية دعوة المنصور بدءا بجعفر بن علي بن حمدون المعروف بالأندلسي، الذي عبر مع جيشه المؤلف من ستمائة جندي[32]، ولم يكتف المنصور بهؤلاء فاستدعى قبائل بربرية بأكملها فانثالوا عليه تباعا من أبناء صنهاجة ومغراوة وبني يفرن وبني برزال بالإضافة الى المصامدة[33] .

فقد حدّد ابن الخطيب عدد المرتزقة من البربر في جيشه بثلاثة آلاف فارس[34]، أما الصّفدي فيحدد تعدادهم بأربعة ألاف ومائتي فارس، وجعلهم في ميمنة جيشه[35]، وألان لهم كف العطاء لأنه كان على علم بشراهتهم وحبهم للمال فأغدق عليهم، فوجدوا ما وعدهم المنصور به فاستبدلوا الرث من الثياب بالديباج المطرز وأركبوا العتيق من الجياد وسكنوا قصورا لم يروا مثلها حتى بالأحلام[36]، ونظير هذا لم يثنهم أمر في سبيل خدمة ولي نعمتهم[37].

وقد أشار الأمير الصنهاجي عبد الله بن بلكين في مذكراته قائلا: " إن المنصور استجلب من رؤساء البربر وحماتها و أنجادها من بلغه فروسيته وشدته، وتسامع الناس بالجهاد فبادر إليه من شرق العدوة من كان لهم من الآثار والمكارم والبأس على النصارى ، فكانوا العدة في جيشه والموثوق بهم عند اللقاء ومعترك الوغاء"[38].

2.2-الصقالبة:

لم يقتصر المنصور بن أبي عامر على إدخال البربر فقط في جيشه بل طعمه بعناصر صقلبية، خاصة وأن المنصور –في ابتداء أمره- قد جرّد جوذر وفائق من خدمات أكثر من

32 -ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج.س.كولان، إ.ليفي بروفنسال.ج2 بيروت: دار الثقافة، ص: 279.
33 -محمد حقي، المرجع السابق، ص: 192.
34 -ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص: 102.
35 -محمد حقي، المرجع السابق، ص: 192.
36 -ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص: 279.
37 -خالد الصوفي، تاريخ العرب في اسبانيا (نهاية الخلافة الأموية في الأندلس)، ط1، حلب: مكتبة دار الشرق، 1963م، ص: 85.
38 -عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس، المصدر السابق، ص: 31.

خمسمائة صقلبي ونجح في ضمهم تحت لوائه[39]، وأوجد صقالبة جدد ممن يرضاهم ويدينون له بالطاعة والولاء واتخذ منهم فتيانا له، وعرف هؤلاء الصقالبة بالمماليك العامريين وعلى رأس كل فرقة منهم فتى من فتيانه الأكفاء يسمون بالخلفاء، ويشير ابن الخطيب أنّ عدد كبار الفتيان الصقالبة المعروفين بالخلفاء الأكابر لما توفي المنصور سبعة خلفاء[40] وهم كبار القادة الصقالبة، وقد كان لهم دور فاعل في الفتن والمؤامرات التي صاحبت سقوط الخلافة الأموية بالأندلس مثل الفتى واضح الصقلبي[41]، كما أوجد هؤلاء الصقالبة كيانات سياسية تسمت بالدويلات العامرية الصقلبية التي قامت شرق الأندلس سنشير إليها في ثنايا هذا البحث.

3.2-النصارى:

استعان المنصور بالمرتزقة النصارى من ليون ونافار وقشتالة، فقد انثال عليه الراغبون في تحصيل المال كيفما كانت طريقة الحصول عليه من إسبانيا النصرانية[42]، ويؤكد **دوزي** وجودهم بجيش المنصور في قوله: "كذلك أمدّته اسبانيا النصرانية بالجند الرائع، ولمّا كان الليونيون والقشتاليون والنّفاريون قد جبلوا على الطمع وضعف الوطنية فسرعان ماتهافتوا على ما عرضه العربي عليهم من الرواتب الضخمة حتى إذا ما أصبحوا مرؤوسيه وانخرطوا تحت رايته تفانوا في خدمته وزاد تعلقهم به لمّا أحاطهم بالرفق واللين وماحباهم به من الكرم والإنصاف الذي تجلى في حسن معاملته لهم، وهو ما حرموا منه في وطنهم"[43].

4.2 -السودان:

اشتمل جيش المنصور على عدد كبير من رجّالة الرّقاصة[44] السودان الوافدين ضمن طوائف فرسان البربر من المغرب، بلغ عددهم ألفي راجل، وذكر ابن بسام في الذخيرة أنّ

---

39 -فوزي عناد العتيبي القبوري، المرجع السابق، ص: 75.

40 -ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص: 103.

41 -أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص: 67.

42-مونتغري وات، في تاريخ اسبانيا الإسلامية، تر: محمد رضا المصري، ط2، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنّشر، 1998م، ص: 94.

43 -رينهارت دوزي، المسلمون في الأندلس، ج2، ص: 114.

44-رقّاص وتجمع على رقاقيص تطلق في المغرب على السّاعي الذي يحمل البريد ، أو دليل المسافرين ينظر: رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية ، تر: محمد سليم النّعيمي.ج5.الجمهورية العراقية: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، د.ط، 1982م، ص: 187.

رجالا من السودان الرقاصة كانوا يحملون سرير المنصور للين مشيتهم، وكان يتأذى بصُنان ريحهم رغم ما كان حوله من الطيب[45].

3- موقف أهل الأندلس من مرتزقة المنصور:

رغم أن المنصور بن أبي عامر استطاع أن يزيل العصبية القبلية بين أفراد جيشه وفرض سلطانه عليه ، كما أشرنا آنفا إلا أنه ألّب في ذات الوقت نفوس الأندلسيين ضدّ مرتزقته وصاروا ينتظرون الفرصة السانحة للانقلاب عليه، ولكن نفاذ بصيرته وحسن تخطيطه حال دون ذلك ، فقد قرر أن ينقل الإدارة خارج القصر الخلافي أو بالأحرى الابتعاد عن عاصمة الخلافة كلها، فبنى مدينة الزاهرة ونقل إليها جنده وحاشيته وعائلته سنة 370هـ[46]، فوجوده بالزّهراء أصبح يشكل عليه خطرا لتربص أعدائه به ورغبتهم في التخلص منه.

نفرت سياسة المنصور الأندلسيين وقدماء المحاربين من جيشه نفورا شديدا، و امتلأت قلوبهم حقدا عليه وعلى بعض عناصر جيشه الغريب، وسبب ذلك هو إشادة المنصور بجنده المرتزق ومقارنتهم بالجيش القديم على أنه أمهر وأقدر منهم، وهذا النفور خدم بن أبي عامر حيث صار بالنسبة لمرتزقته أملا ومستقبلا يُعتمد عليه، الأمر الذي جعلهم خاضعين كل الخضوع لسلطانه[47].

كما أنّ إقصائه لأهل البيوتات الجليلة واستغناءه عن أبنائهم وإذلال كبار رجالهم، وإلغاء التقاليد العريقة التي كانت موجودة من قبل، قد جعلت الأندلسيين يتحزبون ضده، وصارت الأندلس مهددة بحرب أهلية تلوح في الأفق ولم يكن الأمر ببعيد ؛ فبمجرد وفاة المنصور وابنه عبد الملك، دب الفساد في الدولة، كما أنّ عجز الدولة عن دفع مستحقات الجند أضعف هممهم التي كان مقابل ما يدفع لهم، ففي عهد المنصور توالت الانتصارات

45-ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ج، ق4، ص: 74؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص: 102.

46 -الزاهرة مدينة شيدها المنصور بن ابي عامر يحاكي فيها سلوك الملوك على غرار ما قام به الخليفة عبد الرحمن الناصر في بناء الزهراء، وكانت قرب نهر قرطبة الأعظم لم يكن اختيار مكان بنائها جزافا بل هو مكان شاعت حوله نبوءة تقول : "انّ هذا المكان سيكون المقر الجديد للأسرة المالكة للأندلس"، بدأ بإنشائها سنة368هـ وانتهى سنة 370هـ.ينظر: أبو عبد الله محمد بن الله بن عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تصحيح وتعليق: ليفي بروفنسال، ط2، بيروت : دار الجيل، 1988م، ص، ص: 80، 81).

47 -حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط4، القاهرة: دار الرّشاد، 2000م، ص: 393.

وكثرت الغنائم فكانت الأرزاق وفيرة لجنده[48]، لكن بوفاته انقطع مورد هام من موارد بيت مال الدولة .

وبانقطاع هذا المورد ضعفت خزينة الدولة، كما أشرنا ولم يحصل الجند على مرتباتهم فكثر شغبهم، فهؤلاء الجند المرتزقة، كما وصفهم الطاهر مكي بقوله: "ولاؤهم مأجور وإحساسهم بالوطنية واهن تغلب عليهم الأنانية" [49]وما يؤكد ذلك انقضاضهم على جوانب الدولة وإقامتهم دولا أعلنوا أنفسهم أمراء عليها، ونرى أن الكل يحاول جاهدا إيجاد وسيلة لإضفاء صبغة شرعية لملكه، وكل هذا نتاج سياسة المنصور العسكرية، التي كانت إحدى بذور التفكك التي غذيت في فترة حجابة ابنيه من بعده، وقطفت ثمار شرها بعد مطالبة ابنه بولاية العهد ، فوجد المناوئون لسياسة آل عامر الفرصة الملائمة لإعادة ما سلبه منهم أولئك الأغراب.

4- أثر الجيش العامري المرتزق على تفكك الوحدة الأندلسية ونهاية الخلافة الأموية(422هـ/1031م).

لقد أثرت إصلاحات المنصور العسكرية أثرا كبيرا على حاضر الأندلس ومستقبلها، خاصة وأن المنصور قد أفرغ الأندلس من رجالها ولم يترك من يخلفه وقد اتفق جل المؤرخين في ذلك، فرغم ما قدمه من أعمال جليلة خاصة ما تعلق بجهاده النصارى وانتصاراته المتتالية عليهم، إلا أن اتخاذه لجند من المرتزقة قد أضر بملكه، وأظن أنّ الرأي الذي أبداه حسين مؤنس في هذا الصدد فيه بعض التحامل على البربر لأن جيش المنصور المرتزق لم يقتصر على العنصر البربري فقط ، يقول حسين مؤنس حول ذلك : "و أكثر ما أضر بالمنصور أنه أقام ملكه على جند مرتزقة من البربر أجنبي عن البلاد، وكان جند المنصور معتزين بتأييده يتعالون على النّاس ويثيرون سخطهم"[50].

لقد ترك المنصور فراغا لا يمكن سده، فلم يكن في الأندلس من يماثله في حنكته وفطنته وسياسته، لأنه قضى عل كل من توسم فيه النباهة كما أشرنا سالفا، تاركا جوا تغشاه الضغينة والبغضاء والحقد يسود المجتمع الأندلسي، وصارت النفوس تقتنص

48 -العبادي، نفسه، ص: 54.

49 -الطاهر مكي، دراسات أندلسية في الأدب والتّاريخ والفلسفة، ط3، القاهرة: دار المعارف، 1987م، ص: 50.

50 -حسين مؤنس، المرجع السابق، ص: 393.

الفرص لتعلن ثورتها على آل عامر ، ومن مخلفات سياسة المنصور العسكرية النتائج الآتية:

1.4-الفتنة القرطبية(الفتنة البربرية):

إنّ طلب عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر الملقب بـ"شنجول" من الخليفة هشام المؤيد اصدار مرسوم بتعيينه وليا للعهد [51]، لخطوة طائشة أفاضت كأس المعارضين للسياسة آل عامر وكانت بداية للفتنة القرطبية أو الفتنة البربرية كما يسميها بعض المؤرخين .

وهذا الأمر الذي أقدم عليه عبد الرحمن بن المنصور يعد خرقا للأعراف السياسية المتفق عليها بين فقهاء السّياسة الإسلامية السنية آنذاك، وقد أدى هذا الأمر إلى انتفاضة المضرية وأبناء البيت الأموي، مما عجل بالثورة واغتياله بعد أربعة أشهر من توليه الحجابة بعد أخيه عبد الملك المظفر وكان ذلك برجب سنة 399هـ[52]، وقد عبر **ابن عذارى** عن طيش عبد الرحمن المنصور بقوله: "وقد تقدم القول بتوصل هذا الجاهل بدعوى الخلافة عجرفية غير تأوُّل ولا أهلية وكيف استهواه كيد الشيطان وغرته قوة السلطان إلى أن ركلها عمياء مظلمة لم يشاور فيها نصيحا ولا فكر في عاقبة"[53]، وحقيقة مطالبة شنجول بولاية العهد تصرف يدل على غروره وجهله وقلة خبرته، فحتى والده المنصور لم يلغ الخلافة الروحية رغم بسط سلطانه على الدولة الأموية بيد من حديد.

وباعث هذه الفتنة محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، الذي كان حاقدا على العامرين بسبب مقتل والده أيام عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر فخلع هشام المؤيد وأعلن نفسه خليفة مكانه ولقّب بالمهدي في جمادى الآخر سنة 399هـ[54]، وجعل ولي عهده ابن عمه سليمان ابن هشام بن سليمان الناصر، واتخذ جندا من العامة والدهماء وأطراف الناس وقربّهم وآثرهم على الفتيان العامريين وأنصارهم من الصقالبة

51 -أورد ابن عذارى نص مرسوم تعيين هشام المؤيد لعبد الرحمن بن المنصور وليا للعهد، وأورده المقّري أيضا.ينظر: ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص، ص: 44، 46؛المقري، المصدر السابق، ج1، ص، ص: 424، 426.

52-عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، ج3.القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د.ط)، (د.ت.ط).، ص: 86.

53 -ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص: 43.

54 ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج2، ص: 05.

ومن إليهم من الجند المرتزقة الذين كانوا أولياء الأسرة العامرية وكانوا من حيث العدد والعصبية قوة يعتد بها، يضاف إليها الطوائف البربر الذين كانوا عماد الجيش العامري، فاشتد النزاع بين الصقالبة والبربر وأهل قرطبة مما أدى إلى نشوب حرب أهلية في الأندلس[55].

ورغم أن رؤساء البربر قد سلّموا المهدي عبد الرحمن بن المنصور ولحقوا به خوفا على أهاليهم وأموالهم ، إلا أن القلوب سخطتهم لمظاهرتهم الأسرة العامرية سابقا، فخُرّبت دورهم و انتهبت ممتلكاتهم على مرأى ومسمع من المهدي، الذي استساغ ما حاق بالبربر بدل أن يضمهم لدعم سلطانه الغض، فلم يكن لهم ذنب بأنهم كانوا ركيزة سلطة المنصور على الأندلس، ونظرا لهذه المعاملة السيئة التي لقيها البربر من المهدي قرر زعماؤهم الاستجابة لهشام بن سليمان الملقّب بالرشيد وقد شجعهم على الثورة ضد المهدي، ولكنه استطاع القضاء على ثورتهم وقتل الرشيد[56]، ونادى أنه من يقتل بربريا فله مكافأة لذلك، فازدادت الأمور حدّة ودموية بين البربر وعامة قرطبة[57].

كما أنه نفى عددا كبيرا من الفتيان الصقالبة العامريين، فغادروا قرطبة و لجأوا إلى أطراف الأندلس الشرقية، ونستثني من فتيان الصقالبة الفتى واضح صاحب مدينة سالم والثغر الأوسط الذي أرسل كتابا يؤكد فيه طاعة المهدي ، مبديا ابتهاجه بمصرع عبد الرحمن بن المنصور ، فرد عليه بالشكر وأموال ومتاع وولاه الثغر كله[58]، و قام المهدي أيضا بتسريح نحو سبعة ألاف جندي وقطع رواتبهم مما جعلهم عنصرا من عناصر التوتر والشغب في الأندلس، ونفى جماعة من الصقالبة العامرية وأخرج صقالبة القصر، والتفت إلى اللهو والمجون الأمر الذي غير نفوس المتعاطفين معه الى الانقلاب عليه[59].

ومن هنا تشكلت طائفتان تقتتلان حول العرش الخلافي، الطائفة الأولى التي أشرنا إليها يمثلها المهدي والملتفين حوله من الغوغاء والعامة، والطائفة الثانية التي يمثلها

---

55 -عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 643؛وينظر أيضا: عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، د.ط، القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، 1990م، ص: 225.

56 -محمد حقي، المرجع السابق، ص: 218.

57 -أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، ط2 ، 1988م ص: 80.

58 -خالد صوفي، المرجع السابق، ص: 164.

59 -ابن عذارى ، المصدر السابق، ج3، ص: 77؛ينظر أيضا: النويري المصدر السابق، ج23، 24، 25 ، ص: 245.

سليمان بن عبد الحكم الملقب بالمستعين ، ضمت جبهته البربر الذين التفوا حوله وبعض الفتيان العامريين ومن يتبعهم من الصقالبة واستعانت هذه الطائفة بنصارى الشمال وطلبوا المدد من النصارى(سانشو غارسيه قشتالة)، مقابل التنازل له عن عدد كبير من القلاع والحصون، وإن هذا الانقسام في الجيش من أسوأ ما أصاب الأندلس لأن الجيش درع المملكة[60] ، كما أنّ فتح الباب لتدخل نصارى الشمال في شؤون المسلمين والإطلاع على عوراتهم قد عجّل بتفكك الأندلس، والصدام الذي دار بين الطائفتين في موقعة قنطش أو قنتيش[61] في ربيع الأول من سنة 400هـ /نوفمبر 1009م والذي راح ضحيته أكثر من عشرين ألفا من خيار المسلمين وأئمة المساجد.[(62)].

لقد صارت الأندلس قطبي رحى للقوى المتصارعة حول السلطة، وكل طائفة تسعى جاهدة لتكون مع الأقوى ولا يهمنا هنا التفصيل في أحداث الفتنة بقدر ما يهمنا الإشارة إلى مسبّباتها ونتائجها، فتقريبا كل المصادر أسمتها بالفتنة البربرية على غرار ابن حيان القرطبي الذي يعد من جيل الفتنة القرطبية، وحتى المؤرخين المحدثين أمثال المؤرخ حسين مؤنس، وهناك من قال الأولى تسميتها فتنة محمد بن عبد الجبار على غرار ابن عذارى المراكشي [(63)]؛ وهذا الرأي أقرب إلى الصواب، لأن هذا الشخص أيقظ الفتنة النائمة، كما أنه لم يكن مؤهلا للقيادة، وهدفه الانتقام من كل مايمثل العامريين، ولو كان فطنا كيّسا لكسب الجند العامري لصالحه .

لقد كان هذا الجيش المرتزق الدخيل وبالا وبلاء على الأندلس، لا يروعه شيء ولا يثنيه أمر عن ارتكاب الفظائع في سبيل مصالح من يسوده، فبوفاته فقدوا ملاذهم الآمن وصاروا يبحثون عن كيانات تحميهم و فعلا تم ذلك لهم فاقتطعت كل طائفة منهم طرفا من أطراف الأندلس أقاموا عليها ما سمي مجازا دول الطوائف.

2.4-نهاية الخلافة الأموية بالأندلس وبداية عهد ملوك الطوائف: 422هـ/1031م.

60 -ابن الأبار ، المصدر السابق، ج3، ص: 6؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص: 410.

61 -ليفي بروفنسال ، تاريخ اسبانيا الإسلامية، من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية(711-1031م)، تر: علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون، مر: صلاح فضل، ط3، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، 2000م، ص: 518.

62 -عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص: 88؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص، ص: 410، 411.

63 -ابن عذارى ، المصدر السابق، ج3، ص: 50.

رغم المحاولات العديدة التي قامت بها بعض الشخصيات التي تداولت حكم الأندلس خلال سنوات الفتنة والمحنة في توحيد الدولة تحت لواء خليفة يتفق عليه أهل الأندلس، إلا أن كل المحاولات باءت بالفشل خاصة بعد انتقال بني حمود من سبتة واستقرارهم بقرطبة طامعين في السيطرة على الأندلس فاشتد النزاع بينهم وبين الأمويين، وانتهى أمر ذلك إلى إعلان محمد بن جهور نهاية الخلافة لعدم ووجود من هو جدير بها، وكان هشام بن محمد الذي لقّب بالمعتد آخر ممثل للبيت الأموي خلعه الجند سنة422 ه وفرّ إلى ياردة إلى أن توفي هناك سنة 428ه[64]وبه طويت صفحة حكم بني أمية للأندلس، وحكمها جماعة من الوزراء عرف بحكم الجماعة، وأُتبع ذلك بانقسام الأندلس إلى طوائف متناحرة سميت بملوك الطوائف سنة422ه /1008م، وجل زعماء هذه الدول كانوا قادة بالجيش العامري المرتزق أو كانوا من وزراء العامريين وهم كالآتي:

أ- **البربر:**

وهم الذين دخلوا الأندلس حديثا قادمين من المغرب أي منذ عهد المنصور وكانوا أسرع الطوائف التي أقامت دويلات خاصة بها، (دويلة بني زيري في غرناطة(403-483ه /1012-1090م؛ دويلة بني برزال في قرمونة(404-460ه /1013-1068م؛ دولة بني ذي النون في طليطلة (427-478ه /1035-1085م؛ دولة بني يفرن في رندة(431-458ه /1039-1065م).

ب- **الصقالبة:**

ومعظمهم من مماليك المنصور محمد بن أبي عامر وأبنائه، أسس هذا الحزب الدويلة العامرية شرق الأندلس تضم دانية والمرية ومرسية وبلنسية والجزر الشرقية "البليار"(412-478ه /1021-1085م)، حيث تولى مجاهد العامري دانية منذ عهد المنصور ثم أضاف إليها بعد الفتنة الجزائر الشرقية، ثم انتقلت الى ابنه إقبال الدولة ، وبعدها إلى بني هود (468ه)، وتولى أمر بلنسية وشاطبة مبارك ومظفر العامريين[65] ثم آلت إلى

64-المقّري ، المصدر السابق، ج1: ص: 438.

65 -ابراهيم بيضون، الدولة العربية في إسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة(92-422ه /711-1031م)، ط3، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنّشر، 1986م، ص: 352.

لبيب الصقلبي بعد وفاة مبارك[66]، أما بنو طاهر الصقالبة فاستقلوا بمرسية (429-471هـ/1037-1078م).[67]

لاتهمنا تفاصيل الأحداث المصاحبة لنشأة هذه الدويلات بقدر ما يهمنا عوامل نشأتها، وقد ذكرنا في ثنايا هذا البحث أن من عوامل تكونها سياسة المنصور العسكرية التي أدخلت هذه العناصر الغريبة عن الأندلسيين في الجيش، وقد تميز المجتمع الأندلسي بالعنصرية والعصبية قبل حجابة المنصور وكادت هذه الإثنية والعصبية أن تقضي على الوجود الأموي خلال عهد الإمارة.

والطوائف الوافدة خلال العهد العامري قد زادت من تشرذم المجتمع الأندلسي وأشعلت الفتنة التي أحدثها المهدي فتيل الحرب الأهلية بين العامة وهذه الطوائف الدخيلة التي رأى زعماؤها أن السبيل الوحيد للحفاظ على بقائهم وأمنهم إقامة كيانات تحميهم، إذن لم يكن سقوط الدولة الأموية منوطا بفئة دون أخرى، كما يرى خالد صوفي[68]الذي لم يحصر نهاية الخلافة في طائفة دون سواها بل يرى أن ذلك تشاركيا بين مختلف الطوائف التي شكلت المجتمع الأندلسي، ولكن لا يجب إغفال الأنانية المفرطة لدى هته الطوائف الدخيلة التي كان ولاؤها مقابل ما تتلقاه من أجر مادي مما زاد الأندلس ضعفا، كما أن إقصاء البيوتات الجليلة عن الحياة السياسية وعن الجيش والاكتفاء بالأذناب والأغراب خلال الحجابة العامرية قد أضعف العصبية التي بني عليها ملك بني أمية في الأندلس، وبالتالي تكون ولاء ظرفي زال بزوال المنصور.

خاتمة: منيت سياسة المنصور العسكرية بفشل ذريع، رغم أنّه استطاع أن يقضي على العصبية القبلية بين أفراد جيشه، وإن اعتماده عناصر دخيلة زادت المجتمع الأندلسي تفككا وتشرذما، فقد عرف على هذه العناصر الطمع يجمعهم الولاء لسيدهم الذي أغدق عليهم بعطاياه لكثرة مغانمه نتيجة لانتصاراته المتوالية على نصارى الشمال .

و إن كثرة الغزو والحروب المتوالية قد أضعف خزينة الدولة، حيث كانت الغزوة الواحدة تفوق خمسمائة ألف دينار، وزهق العامة من الحروب خاصة أنه أوجد جيشا

66 -ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص: 163.

67- عصام محمد شبارو ، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91-897هـ/710-1492م)، ط1، بيروت: دار النضة العربية، 2002م، ص، ص: 212، 213.

68 -خالد صوفي المرجع السابق، ص: 74.

نظاميا ينوب عنهم في هذه الغزوات مما أضعف هممهم في مواجهة الأخطار التي حاقت بهم بعد الفتن التي عرفتها الأندلس بعد وفاة المنصور وابنه عبد الملك المظفر.

وإن التّحزبات التي ظهرت في الأندلس نتيجة السياسة العسكرية التي انتهجها المنصور، قد زادت من حدة الصراع بين مختلف طوائف الأندلس، ويعد أقطاب جيشه المرتزق من العناصر الفاعلة في هذه الأحداث، وسعى زعماء هذه الطوائف إلى الاستئثار بطرف من أطراف الأندلس لإقامة دولة ويحاط بهالة الملك دون اكتساب لأدنى مؤهلات و صفات وأخلاق الملوك، واتصلوا بملوك النصارى ليكونوا لهم عونا على إخوانهم المسلمين، ومنحوا مقابل ذلك حصونا وقلاعا أفنى أسلافهم من أجلها أرواحهم.

وهنا ندرك الخطأ الجسيم الذي وقع فيه المنصور بإقصائه للنفوذ العربي واستغنائه عن أبناء البيوتات وتعويضهم بالمماليك من الصقالبة والبربر وحتى النصارى من أكبر الهفوات التي وقع فيها المنصور، وكما يقول ابن خلدون إذا زالت العصبية زال الملك، ونلاحظ هنا أن العصبية الأولى التي قام عليها ملك بني أمية في الأندلس قد زالت لما استظهر عليهم الموالي وغلب على المجتمع فئات مصطنعة تطغى عليها الأنانية، كما أن مغامرة المنصور في اصطناعه الملك وتعديه على أصحابه الشرعيين قد فتحت الباب للطامعين في السلطة و الاستقلال وكان لهم ذلك بعد أحداث الفتنة القرطبية.

و نتيجة لكل هذا فإن جيش المنصور المرتزق أحد عوامل دمار الأندلس وتفككها وبداية النهاية للخلافة الأموية، رغم ما حُقّق على يده من نصر إلا أن هذا النصر لم يكن إلا غطاءً لسياسة المنصور وعثراته التي وقع فيها وهو يحاول بلوغ قمة هرم السلطان.

قائمة المراجع:

1.ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي ، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ج1، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1985م.

2. ابن بلكين بن باديس بن حبوس عبد الله ، التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2006م.

3.ابن حزم أبي محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس.ج2.بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (ط2)، 1987م.

4.ابن حيان أبي مروان القرطبي(ت469هـ)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تح: عبد الرحمن علي حجي.بيروت، دار الثقافة(د.ط)، 1965م.

5.ابن حيان أبي مروان حيان بن خلف الأندلسي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، شرح: صلاح الدين الهواري.بيروت: المكتبة العصرية ، (ط1) ، 2006م، .

6.أبو زيدون وديع ، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة.الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع، (ط1)، 2005م

7.أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ق4، مج1.بيروت: دار الثقافة، (ط1) ، 1979م

8.أبو عبد الله محمد بن الله بن عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تصحيح وتعليق: ليفي بروفنسال.بيروت : دار الجيل، ط2، 1988م.

9.بروفنسال ليفي ، تاريخ اسبانيا الإسلامية، من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية(711-1031م)، تر: علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون، مر: صلاح فضل.الهيئة العامة للمطابع الأميرية، (ط3)، 200م.

10. ابن الخطيب لسان الدين السّلماني، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، ج2.بيروت: دار المكشوف، (د.ط)، 1956م .

11. ابن خاقان أبو نصر الفتح بن محمد ابن عبد الله القيسي الإشبيلي (ت 569هـ)، ، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلَح أهل الأندلس ، تح: محمود علي شوابكة.بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983م.

12. بنت عبد الرحمن الشرقي منيرة، المنصور بن أبي عامر بين الهدم والبناء (366-392هـ/976-1002م)، مجلة العلوم الانسانية والاجنماعية، العدد: 40، رجب 1437هـ، ص، ص: 215، 279.

13. بيضون ابراهيم ، الدولة العربية في إسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة(92-422هـ/711-1031م).بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنّشر، (ط3)، 1986م

14. حقي محمد ، البربر في الأندلس- دراسة لتاريخ مجموعة إثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية (92-422هـ/711-1031م).الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس، (ط1)، 2001م.

15. حمدي عبد المنعم محمد حسين، دراسات في التاريخ الأندلسي (دولة بني برزال في قرمونة)404-459هـ/1013-1067م.الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، (د.ط)، 1990م.

16. حومد أسعد، محنة العرب في الأندلس.بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، (ط2)، 1988م.

17. دوزي رينهارت ، تكملة المعاجم العربية ، تر: محمد سليم النّعيمي.ج5.الجمهورية العراقية: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، د.ط، 1982م.

18. دويدار حسين يوسف ، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي 138-422هـ /755-1030م.القاهرة: مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، 1994م.

19. الذيابات آمنة محمود عودة ، الحجابة والوزارة في عصر الدولة الأموية 316-422هـ /928-1030م(رسالة ماجستير).الأردن: جامعة مؤتة، 2000م.

20. الرفاعي عبد السلام أحمد ، الحاجب المنصور.مصر: المطبعة الرحمانية، (ط1)، 1936م.

21. سامية مصطفى مسعد العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (300-399هـ /912-1008م)، مصر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية، (ط1)، 2000م.

22. شبارو عصام محمد ، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91-897هـ /710-1492م).بيروت: دار النهضة العربية، ط1، 2002م.

23. شوقي ضيف، المعجم الوسيط، مصر : مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م، ص: 342

24. الصفدي صلاح الدين بين أيبك .الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، ج3.بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2000م.

25. الصوفي خالد ، تاريخ العرب في اسبانيا (نهاية الخلافة الأموية في الأندلس).حلب: مكتبة دار الشرق، (ط1)، 1963م.

26. العبادي أحمد مختار ، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس .الاسكندرية: منشأة المعارف، (ط1)، 2000م.

27. عنان محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس، العصر1، القسم2، القاهرة : مكتبة الخانجي، ط4 ، 1997م.

28. الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس .القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، 1990.

29. فيلالي عبد العزيز ، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب .القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ط2، 1999م.

30. القبوري فوزي عناد العتيبي، فقهاء الأندلس والمشروع العامري367-399هـ/978-1009م.المملكة العربية السعودية: دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، 2010م.

31. المراكشي ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج.س.كولان، إ.ليفي بروفنسال.ج2 بيروت: دار الثقافة.

32. المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، ج3القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، دط.

33. المقّري أحمد بن محمد التّلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب، تح: إحسان عباس، مج1، بيروت: دار صادر، (د.ط)، 1988م.

34. مكي الطاهر ، دراسات أندلسية في الأدب والتّاريخ والفلسفة.القاهرة: دار المعارف، ط3، 1987م.

35. مؤلف مجهول (ت712هـ) ، مفاخر البربر، تحقيق وتعليق: محمد زينهم.القاهرة: جهاد للنشر والتوزيع، ط1، 1998م.

36. مونتغري وات، في تاريخ اسبانيا الإسلامية ، تر: محمد رضا المصري.بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنّشر، ط2، 1998م.

37. مؤنس حسين ، معالم تاريخ المغرب والأندلس.القاهرة: دار الرّشاد، (ط4)، 2000م.

38. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج24، "الجزء الخاص بإفريقية وبلاد المغرب "، تح: عبد المجيد ترحيني، بيروت، دار الكتب العلمية.(د.ط)، (د.ت.ط).

39. هشام عبد الرؤوف محمد مصطفى أبو ملّوح، الدولة العامرية في الأندلس)366-399هـ/977-1009م).(أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه)، الجامعة الأردنية، 1994م.